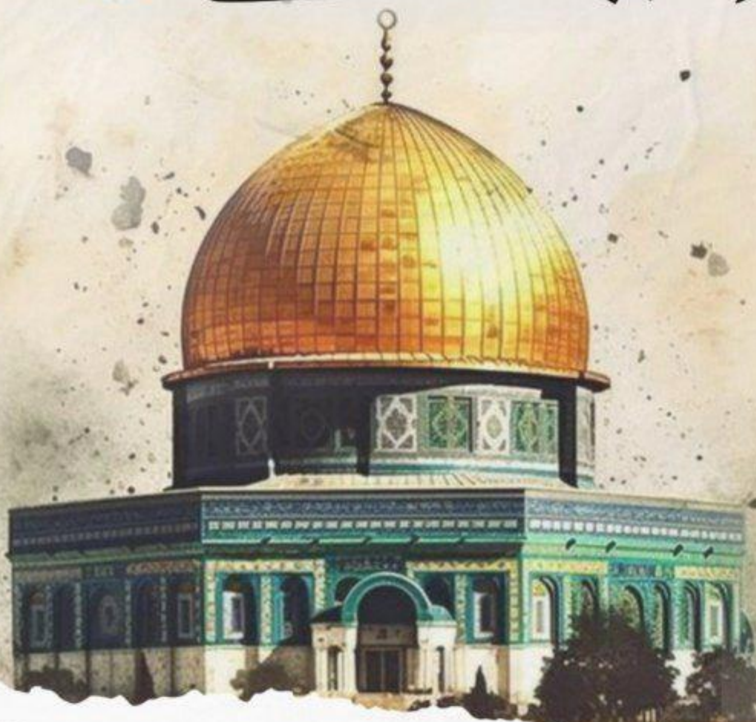
بداية الطوفان



مقالتان بعنوان:

رسائل طُوفانّيةٌ؛ نُصرَةٌ وتَذكِرَةٌ

كتبه: لقمان بن عبد الحكيم

الطُّوفان الفاضح؛ ظاهرة الجهادية المُقَنّعَة

كتبه: مويلك الشامي



مؤسسة النازعات

بدايةَ الطوفان

النازعات

ربيع الأول ١٤٤٥هـ

لستٍّ خَلَون من «طوفان الأقصى»

«من المعلوم أنّ الأمة لن يقوم لها مجد إلا بسلوك مسلك العودة الصادقة، ومن ثَم تؤهَّلُ للمدافعة ومن بعدها الإمامة.

إلا أنّ من جميل فعل الله ﷻ أن يجعل أثرَ الرجوع هو نفسه سببًا للرجوع، ففي الحديث الذي رواه «مسلم» عن يسير بن جابر أنّ ابن مسعود قال:

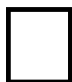
«عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لأَهْلِ الإسْلَامِ، وَيَجْمَعُ لهمْ أَهْلُ الإسْلَامِ، قُلتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قالَ: نَعَمْ، **وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ القِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ**»[1].

فالحمد لله الذي وهبَ ثم هدى».



«وارتاعَت يهود لقرب الوعود».

أسامة بن لادن، كلمة شهيد الإسلام لأمته المسلمة.



(1) (٢٨٩٩).

رسائل طوفانية: نصرة وتذكرة

لقمان بن عبد الحكيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُذ بدأ التفكير في قضية النهوض بالأمة ورفعها من الحضيض والتشتّت، كانت العملية الجهادية التغييرية مطروحةً في ساحة الأفكار والعمل، بجانب طُرُق أخرى مساندة أو مناقضة للعمل الجهادي. وقد تطوّرَت هذه الأفكار عبر أجيال من العمل والتضحية، حتى صارت مناهج متفرّقةً متخالفةً، ولكل منهجٍ جماعاتٌ وأحزابٌ تقوم عليه وتطبّقه على الواقع مع تنظير وتأصيل وتقعيد علمي وفكري.

وقد كان منهج المجاهدين الرائدَ والمقدَّمَ في عملية التغيير التي دخلت الأمةُ نَفَقَها من عقود، وكغيره من المناهج طرأ عليه التطور والتغيير في الأصول والفروع، حتى انتهى أمره إلى أصلٍ مركزيٍّ تقوم عليه أصولٌ وفروعٌ، وهو وجوب حمل السلاح على الكفار والمرتدين ونزع الأرض منهم ثم حكمها بحكم الله. وأوَّلُ مَن تتوجّه إليه الحرب هم رأس الكفر في هذا العصر، وهي أمريكا، ثم مَن تبعها من حلفاء وعبيد في ذَيْلِهم طواغيت العرب الحاكمون بغير شِرعة الله؛

قال الدكتور أيمن الظواهري: «إن العمل العسكري يستهدف أولًا رأس الكفر أمريكا وحليفتها إسرائيل، وثانيًا حلفاءها المحليين الحاكمين لبلادنا.

واستهداف أمريكا هدفه إنهاكها واستنزافها، لتنتهي لِمَا انتهى له الاتحاد السوفييتي، وتنكفئ على نفسها من خسائرها العسكرية والبشرية والاقتصادية، وبالتالي تخفّ قبضتها على بلادنا، ويبدأ حلفاؤها في التساقط واحدًا بعد الآخر.

وأما استهداف عملاء أمريكا المحليين فيختلف من مكان لمكان، والأصل ترك الصراع معهم إلا في الدول التي لا بد من مواجهتهم فيها»[1].

وقد كانت قضيّة أرض الشام المقدّسة مركزيةً عندهم على صعيد الخطاب والتأصيل والعمل، وكثير من القضايا كانت تُربَط بالمسجد الأقصى، من نيويورك وواشنطن إلى العراق..! فلا ننسى نغمةَ مجدِّد الجهاد إذ يقول: «أقسم بالله العظيم الذي رفع السماء بلا عمد، لن تحلم أمريكا ولا مَن يعيش في أمريكا بالأمن **قبل أن نعيشه واقعًا في فلسطين**، وقبل أن تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض مُحَمَّد ﷺ»[2]، كذلك نبرَة أمير الاستشهاديين في قولَتِه: «إننا في العراق على مرمى حجر من مسرى رسول الله ﷺ، فنقاتل في العراق

---

[1] توجيهات العمل الجهادي (ص ١).

[2] بيان بعد إعلان أمريكا الحرب على الإمارة الإسلامية (شريط مصور).

وعيوننا على بيت المقدس، الذي لا يُستَرَدُّ إلا بقرآنٍ يهدي وسيفٍ ينصر»[1].

وكان مِن دوافع تقديم الخطاب عن الأقصى فوقَ كون قضيته شرعيةً صريحةً، أن من أصول الحركة الجهادية رفع الشعوب إلى مستوى الوعي الجهادي ودفعهم إلى الجهاد الشرعيّ وجرّهم إليه بالقوة، لأن المتقرر أن جهاد الأمة لا يحصل بأفراد منفصلين عن الأمة، بل لا يقوم الجهاد ويؤتي ثماره إلا بتأييد شعبي من المسلمين، ودعمه بالنفس والمال والسلاح والفكر، بل بكلمة المديح! قال أبو سارية الشامي: «إن التعامل مع عوام المسلمين بما يؤدي إلى جعلهم حاضنةً شعبيةً للمشروع الإسلامي، يُعَدّ من أهم الأسباب المادية لنجاح هذا المشروع. ولذا فنحن نعدّ الأعمال المؤدية لصنع هذه الحاضنة، جزءًا من الإعداد المادي للجهاد، فضلًا عن وجوبها شرعًا من نواحٍ أخرى»[2].

وعليه؛ كانت قضية الأقصى شاغلةً قلوبَ المسلمين من عقودٍ، كونها قضيةً صريحةً لا لَبْسَ فيها عند عموم الناس، معسكرٌ للمجاهدين وأنصارهم ومعسكرٌ للصهاينة وعبيدهم، فدَعْمُ القضية الفلسطينية الشرعية واجبٌ شرعًا وسياسةً على أنه لا انفصال بينهما على الحقيقة؛ قال الدكتور أيمن: «وفي أكناف بيت المقدس الاشتباك الرئيسي والأساسي مع اليهود، ويُصبَر على

---

(١) هذا بلاغ للناس (شريط مصور).

(٢) منهج الجماعة المجاهدة (ص ٢٦).

الحكام المحليين في سلطة أوسلو قدر الإمكان»[1]، وقال الشيخ قاسم الريمي معلّقًا: «أنت الآن بالنسبة في فلسطين، فالهدف واضح؛ عندك هدف الأمة كلها مجمعة عليه، وهي قضية الأمة الآن، وعندك هدف هو عميل لهم، إذن بدل ما أضربُ الذنَب أضربُ الرأس»[2].

وقد سعى المجاهدون من سنوات إلى الدخول بقوةٍ في حرب الصهاينة على الأرض المقدّسة، فحاولوا إنشاء التنظيمات والكتائب والإمارات على أرض المسلمين التي «قيل» أنها لم تُغتَصَب بعد. فكانت الحرب الشاملة عليهم قاضيةً بإفنائهم من تلك الديار، فالقائمون على تلك الأرض يمنعونهم كما يمنعون الصهاينة «وربما» أشدَّ. ومع ذا، لم يتضجّر أهل الجهاد من المنع، بل هم إلى الآن عاملون على الأرض تحت أسماء مبهمةٍ أو منفردين أو حتى ضمن صفوف المانعين، وكلُّنا وهُم نعلم هذا.

وما ذُكِر جوابٌ على السؤال الدائم المتكرّر الذي يطرحُه اثنان، منافقٌ يبغي الطعنَ بالمجاهدين، وجاهلٌ لا يعلم حقيقة الساحة المقدسية. فإنه من المعلوم أن حكومة «حماس» بأذرعها العسكرية حاربَت كل وجودٍ للمجاهدين «أو قل الجهاديين» على أرضها، وجزاء كل مَن شمّ منهج المجاهدين الحَجْرُ والسَّجن والتعذيب! ومَن تابع وأراد معرفة الحق وصل إليه، فلهذا كان التواجد في

---

[1] توجيهات العمل الجهادي (ص ٢).

[2] المجلس الأول من «التعليق على توجيهات العمل الجهادي».

الساحة المقدسية للحمساويين لا الجهاديين، فليس السبب إهمال المجاهدين للساحة، أو بحثُهم عن الفِتَن وتقتيل المسلمين «زعموا» كما يَكذب البعض، إنما السبب هم لا غيرهم.

ومَن يقرأ الآن ويثق بما أقول، أو يبحث عمّا كتبتُ ويعلم صدق ما ذكرتُ، سيظنّ أن المجاهدين -على الأقل- ردّوا عليهم بحربٍ وتفخيخٍ، إلا أن الحقيقة عكس ذلك تمامًا، فإن قادة الجهاد ومشايخه (إلا النادر)، مدّوا يد العون لهم على مرّ السنين، وما زالوا حتى الساعة كذلك، بل كانوا مستعدّين لنسيان المجازر التي أقامتها حكومة «حماس» بهم؛ قال الشيخ عطية الله الليبي: «ومع كل ذلك، فنحن نراهم [الجماعات المقاومة في غزة] إخواننا، وندعوهم إلى إصلاح أنفسهم وتصحيح طريقهم. وإلى هذه اللحظة ليس عندنا أكثر من ذلك، وندعمهم فيما يقومون به من خير وجهاد وعمل صالح، ولا نتردد في الوقوف معهم بما نستطيع.

ولا سيما في هذه الأيام -حزيران/يونيو ٢٠٠٦م- وإخواننا في فلسطين يقاسون الجوع والحصار، ويتعرَّضون للمجازر من العدو الصليبي الصهيوني الغاصب لعنه الله وكل مَن والاه، ويودِّعون كل يوم الضحايا من أطفالهم وشيوخهم ونسائهم فضلًا عن شبابه، رحمهم الله جميعًا، ونسأل الله برحمته التي وسعت كل شيء أن يُفرج كربهم وأن ينصرهم على عدو الله وعدوهم الذي

بغى عليهم. آمين. ونأخذ على أيديهم فيما أخطؤوا فيه، ونُعينهم على الإصلاح، وننتظر فرج الله تعالى»[1].

وأودُّ التنبيه هنا، إلى أنه لولا ضرورة الكلام لَما ذكرتُ ما ذكرت، **فإن «القسّام» اليوم واجبٌ نصرتهم لأنهم طليعة المسلمين في وجه الصهاينة وأعوانهم**، وإن الواقفين على الحياد من الخوّارين الملتمسين معارك وهميةً فلسفيةً، أو المبتدعة والزنادقة عبيد طواغيت العرب من لحى التلفية، أو الخوارج وأضرابهم مكفّري الجميع في الميدان، كلهم مبطلون ضالّون مرجفون، وقد خذلوا المسلمين مرّاتٍ فليست هذه الأولى، والخذلان واقعٌ عليهم ما داموا على مناهجهم المنحرفة. لكنَّ أقلام الخوَنَة وأشباه المثقّفين قد كتَبَتْ وطَعَنَتْ، فكان التنبيه واجبًا لدفع الحرَج.

كذا التحذير من تغلغل الروافض والنصيرية إن شاركوا في حرب الصهاينة كما يدعوهم إليها الحمساويون، فإنّا لا نرغب بفتح باب فتنة الرافضة علينا من جديد، فقد سقطت شعبية «حزب الله» ولا ينبغي إعادتهم إلى المشهَد السني. وهنا أتجاهل التحليلات السياسية التي قد يكون لها ضرب من الصحة التي نتيجتها علاقة إيران بهذه الحرب، فلا تُبنى الأحكام على تخرّصات المحللين، لكنّ الحذر واجبٌ باعتبار الحمساويين –والجناح السياسي بالأخص– لا

[1] الأعمال الكاملة؛ **لقاء الشيخ عطية الله مع منتدى «الحسبة»** (ص ١٧٩).

يهمّهم رفضٌ وغيره، وقد أثبتت لنا التجارب –وما تقاربهم مع بشار ببعيد– أنهم لا يلتفتون إلى هذه المصيبة؛ وإنها –والله– مصيبةٌ، إذ ما زالت بقايا نُصرَة «حزب الله» في قلوب بعض أهل السنة، كونَهم شاهدوا «مقاومتهم» للصهاينة عيانًا في حين «خَذَلَ» القضيةَ السلفيون من الجهاديين وغيرهم المتمثّلون بآل سعود ومملكتهم الموالية للصليبية العالمية.

مِن حين بدأت «كتائب القسّام» ومَن عاونها بغزوةٍ –وهي غزوةٌ حقيقةً– «طوفان الأقصى»، جزاهم الله خيرًا، بدأت أقلام المثقفين تتجاذب أطراف القضية، بين شرعي وفكري وسياسي، والغريب حيث لا غرابة بين الإسلاميين، أن عامة كلام هؤلاء «المثقّفين» مناصري الجهاد المقدسي، عائدٌ إلى تأصيلات المجاهدين التي كتبوها ونشروها ورَفعوا أصواتهم بالنداء فيها من سنوات وعقود، بل عاداهم أشباه هؤلاء المثقفين –وربما هم أنفسهم– عليها؛ فمِن متكلِّمٍ في طاغوتية وعمالة حكّام العرب، إلى رافعٍ رايةَ الجهاد وأن لا تغيير إلا به، مرورًا برفض أمان الصهاينة وأعوانهم مع حزّ رقاب الأسرى وغيرها... وأشدُّها تخلّيهم عن مبدأ سنوات الإعداد والتربية حتى يحصل التكافؤ المادي بين المسلمين والمشركين، وغضّهم الطرف عن الخسائر التي ستعقب غزوة «القسّام»، وقد كانوا يحرّكون أقلامهم الحادّة على المجاهدين إذ يرونهم دمّروا الديار والأموال، وقد كان للمجاهدين ردود عليهم بكل حكمةٍ ومحبةٍ، منها ما سطّرَه الشيخ

الخلوق أبو أنس الشامي عن جهاد العراق: «محلُّ الوهم عند بعض المعاصرين والمفكرين، أنهم يحسبون أن الإعداد الذي يبيح لك مباشرة القتال، أو يتيح فرصة الفوز، هو الإعداد المادي المكافئ لعدوك، وهذا وَهمٌ وخيالاتٌ تكذّبها شهادة التاريخ على مر الأعصُر، وكرِّ الدهور، وإذا تصفّح اللبيب التاريخَ ووقف عند القمم الشوامخ والانتصارات الباهرة لأهل الحق في المعارك الفاصلة.. وجد باطرادٍ أن الكفة كانت دائمًا راجحةً لصالح أهل الكفر، من لدن داود وطالوت إلى بدرٍ والقادسية واليرموك.. وقبل ذلك وبعدها»[1].

كذا تكرار بعضهم لقولة «لا يفتي قاعد لمجاهد»، وقد كانوا ينكرون أشدّ النكير على مَن استعملها قبل سنواتٍ قليلةٍ، وقد كان بعض انتقادهم عليها فيه وجهٌ، لكن..! وقد أحسن تقريرَ هذه القاعدة أهل السنة من المجاهدين، ومنهم الشيخ سعيد الشهري في قوله: «إن علماء ومشايخ الثغور هم أهل القول والفصل في أحكام الجهاد، ولهم حق الاجتهاد في مسائله، وأما من ابتلي بالقعود، نسأل الله العافية، فصعبٌ أن يتكلم فيما لا يحسن ولا يعلم، وقد قال ﷺ: «**مِنْ حُسْنِ إسلامِ المرءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيهِ**»[2]، وقال ﷺ أيضًا: «**ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ**»[3]، والأصل لمن أراد

(1) يوميات مجاهد في الفلوجة (ص ٨٦).
(2) الترمذي (٢٣١٧).
(3) البخاري (٦١٣٨)، ومسلم (٤٧).

أن يتأكد مما يعرضه الكافرون وعملاؤهم من الأخبار، فليرجع إلى المجاهدين وإعلامهم الصادق الذي ينطلق من منطلق ديني، ثم مَن أراد النصح فله طرقه ووسائله»[1].

فلا أدري؛ أأفرح لِما آل إليه هؤلاء من فهمٍ لطبيعة الصراع وفقه التغيير، أَم أحزن أنهم انقلبوا «جهاديين» فقط في هذه المعركة، وبعدها يعود كل امرئ منهم إلى ما كان عليه قبلُ! ولستُ طالبًا منهم -وهو واجبهم- التسليم للجهاديين بصحّة ما ذهبوا إليه قبل أن يولَد هؤلاء، فهم أبعد عن هذا الإنصاف، لكنها كلماتٌ محصورةٌ في القلب وتتضخَّم كلما مرّ بيَ منشور أو تغريدة لهؤلاء؛ قال الشيخ أبو قتادة: «وأهل الجهاد والبلاء لا يطلبون من أحدٍ رفع راية الإنصاف، والاعتراف بنسبته الفضل لأهله، لكن قول هذا تحدثًا بنعمة الله تعالى، لا يهمّنا المخالف حتى لو جَهَل وظلَم وتعدّى، فإنّا خبرناهم في هذا الباب فلم نر منهم نوع إنصافٍ في هذا الباب، فإلى الله المشتكى»[2]، وقال: «أقول لكم: لا تنتظروا شكرًا من بشرٍ، ولا إقرارًا بحقٍّ لكم من مخالفٍ، فقد تقدَّمَ لكم أن الطوائف الأخرى غيركم على مفرق طرق؛ إما اللحوق بسبيلكم -ولن يعترفوا أنكم أئمته إن ولجوه- فستكون الإمامة لمن دونكم، ولإخلاصكم لربكم سيُفرحكم هذا ولا يغضبكم، فإن الأمر أمر دين وآخرة،

[1] توجيهات تربوية (ص ٣٢).

[2] المقاربة (ص ٢٦).

وإما اللحوق بالجاهلية وحينها ستؤوب الأمة لكم ولرجالكم ولطوائفكم المنتشرة هنا وهناك، وحينها والله هي المحنة لكم، فلا تفرحوا بهذا بل هو البلاء العظيم الذي لا يقوم له إلا الرجال، وهي الفتنة التي قال الله فيها: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس: ١٤]، وقال فيها على لسان موسى عليه السلام لقومه: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف: ١٢٩]»[1]، هداهم الله.

ثم أختم إلى ممثّل منهج المجاهدين الأكبر في الساحة، إلى تنظيم «قاعدة الجهاد» هداهم الله ومكّنَهم: إنّ الخطوات التي تسيرون عليها وترون أنها في سبيل توحّد الأمة والانخراط بها وعدم الانفصال عنها، لا أحسبها تصبّ في مصلحة تحكيم شرع الله، بل لعلها تخدم عكس هذا الهدف. إنّ هذه المعركة مع اليهود، لا ينبغي أن تبدأ وتنتهي ولا يكون لكم «رسميًّا» غير بيانات ليس لها الأثر المُراد في الميدان. فإنّا وأنتم عالمون، أنّ لكم على أرض المقدسيين رجالًا يوالونكم وهم عاملون عند غيركم، بل وعاملون في صفوف «القسّام» وليسوا قلّةً، وغيرهم من الألوية والمنفردين، فلماذا لا تصرّحون وتعلنون هذا العمل الرسمي لتُخرِسوا ألسن الخلائق!

---

[1] المقاربة (ص ٦٦).

السكوت في هذا الظرف لا يخدم الجهاد كما يُظَن، بل هذه مع كونها معركةً مع الصهاينة، هي معركة إثبات وجود في الساحة الجهادية، وعليه في الساحة الإسلامية أجمع. فهل يُعقَل أن يكون نصيب أكبر تنظيم جهادي في أخطر معركةٍ جهاديةٍ بيانات التأييد!! وإن أردتم الاكتفاء بذلك، فأقلّها أن توضّحوا للناس المانع الذي منعكم من التواجد الرسمي في الأرض المقدّسة، حتى لا ينتشر –وهو المنتشر– أنكم لا اهتمام لكم بأهم قضيّة تجمع المسلمين.

اللهم مُنزِلَ الكتاب، مُجريَ السحاب، هازمَ الأحزاب، أيِّد القسَّاميين ومَن ناصرَهُم من المسلمين بقوَّةٍ من عندك، وأنزل السكينة على أفئدتهم، وانصرهم على عدوّنا وعدوّهم.

والحمد لله ربّ العالمين.

الطوفان الفاضح: الظاهرة الجهادية المُقَنعة

مويلك

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بدأت منذ أيام غزوة على معاقل يهود في غلاف غزة، مصبِّحةً إياهم مُثخنةً فيهم، تضرب رقابهم وتشدُّ الوَثاق، وقد هوَت إلى تلك الغزوة ومشاهدها أفئدة المسلمين من كل مكان، وحتى صباح الثلاثاء (٢٥ ربيع الأول ١٤٤٥هـ)، ما زال هناك عمل في محيط غزة، نصرَ الله عباده وأيدهم.

كثُرت بيانات «حماس»؛ السياسية والعسكرية، وكانت واضحةً في مجملها عن أنّ الهدف من العملية ليس السيطرة على أراض جديدة، وإنما تحقيق مكتسبات أهمها: استباقُ العدو ومباغتته فقد وصلَ لهم أنّ اليهود سيهاجمون غزة بعد انتهاء احتفالاتهم الشركية، وإذكاء روح الجهاد في قلوب المسلمين في الأراضي المحتلة[1]، واختلف كلامهم تارات مع زخم الغزو وتوفيق الله لعباده المُنغمسين في العدو ومفاجأته حتى للسياسيين. ولكن كان في كل البيانات:

[1] لربما أخطأ مجاهدو غزة تقدير وزن العامة وأثرهم؛ فالاعتماد عليهم دون طليعةٍ تُقدِم على العمل بموازاة الغزوة للتشتيت والتخفيف، اعتمادٌ منقوص. ولا نعلم إن كان في الجعبة مفاجآت، لكن حتى اللحظة قد خذَلْنا إخواننا سواء من داخل فلسطين أو من خارجها، والله المستعان وهو القوي العزيز.

دعوةُ مَن سموهم «الحلفاء الاستراتيجيين» بالتصريح والتلميح للتدخُّل، وهذا نذير شرٍّ، فإنه وإن لم يكن إلّاهم، فإنَّ الفتنة بالشيعة الرافضة ستعُمُّ، وسيُشقُّ صف المسلمين بذلك، وسيرفعُ الغلاة رؤوسهم، وسيتعلَّق أعوان الطواغيت بها مُثبِّطين مُخذِّلين مُرجفين.

ونستغيثُ بالله من ذلك بأن يردَّ الرافضة كما يردُّ يهود، ومن بعده سبحانه حسن الظنِّ بجُند «القسّام» أن يستغنوا بالله ثم بإخوانهم عن ذلك، وإن كانت كلمات المتحدث باسمهم في هذا الشأن مقلقة.

ولكنّ الغزوة نفسها كانت مبهرةً؛ تخطيطًا ودقةً وتنفيذًا ونتائجَ، فباغتوا اليهود في ثكناتهم، وجَندَلوهم، وأذلوهم، وساقوا منهم أسرى، وضعضعوا صفوفهم، ودوَّخوا قيادتهم، وشفوا صدور قومٍ مؤمنين، وغنموا ما كُتبَ لهم، فإن لم يكن هذا التوفيق فما أدري ما هو. أتمَّ الله عليهم وعلينا النعمة.

وتنوَّعت –على ذلك– تحليلات المحللين (وهَبدهم)، وتصدَّر الإسلاميون الذين لا يفارقون الشابكة بعواطفهم، ولم يكونوا على قَدر الحدث، كعادتهم في كل نازلة، وتضربُ أقوالهم بعضها، لنجد أنفسنا أمام عواطف مجردة لا ترتقي لتوجيه عواطف العامة ولا لرفع وعيها وتحويل حماسها ولهفتها إلى عملٍ في مختلف المناطق، وإنما هي تدوينات للدخول في «رائج الشابكة»[1].

[1] أزعمُ أنّ من آثار وسائل التواصل السيئة وفسادها الكامن، أنها تُقنع النخبَة قبل غيرهم أنّ مجرد كتابتهم على وسائل التواصل يُجزئهم، وليس هذا تقليلٌ من فائدة الشابكة وأدواتها ووسائل التواصل

وكذلك كان المتسوِّرون أحكام الجهاد التي تجافَوا عنها سنينَ أحوجَ ما كانت الناس إليها، فانتقلوا من منع كل عمل تحت حجة المصلحة وتذعير الأعداء وحرمة المستأمنين وولاية الطواغيت إلى التخبُّط فالإفتاء على غير هدى، حتى علل أحدهم أنَّ إعانة المسلمين في فلسطين **صارت** فرض عين لأنَّ «الأمر صار جِدًّا».. يا شيخ!

وهكذا هؤلاء، إن رأوا المساحةَ الآمنة التي يمكن الخوض فيها دون أن يمسَّهم أذى صاروا ضياغمةً فإن ضاقَ الأمر عادوا إلى «جحور مراكزهم»[1]، وما أشبهَ واقعَهم اليوم بواقعِ كثيرٍ من المشايخ والمثقفين بداية ثورات المسلمين وخاصةً ثورة الشام، التي «فاروا» لها ثم خاروا، بل أصَّل أحدهم –من بعدُ– لمؤتمر الرياض.

إنه نمطٌ خَبِرناه؛ فكما كان يومًا جهاد الأفغان الأول فرضًا صار حرامًا، وكما كانت الفلوجة الأولى مقبرةَ الصليب صارت –عندهم– محرَّمةً على

منها خاصةً، فلها فوائدها لا ريب، لكن من جهة العمل فهي تبعٌ لحركة العمل على الأرض لا أصلٌ، وإن كان هناك نشاطٌ «تقني» للإخوة، فهو تمهيدٌ وتوطئةٌ للعمل الميداني، على اختلاف جنس العمل.

[1] ومن الأذى عندهم حذف حساباتهم، لذلك تجد كثيرًا منهم يقول: «مستمرون ولو حُذف الحساب»، فانظر لسفولِ هممهم، وغايةِ تضحيتهم، ولا تجدُ أحدهم يحرض على أي عملٍ في بلدِه، رغم زعمه أنَّ «المقاومة» –والتي طلبت ذلك– ولية أمر الجهاد، ولها السمع في هذا الشأن. وما هم إلا «كَتَبةٌ يكتبون»!

المؤمنين (لعمية الراية فجأة)، وكان جهاد النصيرية أَوْلى من غيره صارَ الحديث عنه مظنةَ الاتهام بالخروج (أو الغلو إذا رأفوا بك)! أما جهاد الجزيرة وغرب أفريقيا وشرقها فذاك لم يسمع به هؤلاء، ولو سمعوا لتولوا وهم مُعرضون. فلا يسألنّ سائل: «لِمَ لا تثقون بهم؟».. فمَن لم يعرف «الأنفال» و«براءة» إلا حين أَمِنَ طاغوتَه، أحرى به أن يعمى عن أنوارها حين البأس!

وليس من الفطنة أن يُسلَّم لهم أمرٌ عظيم الشأن كهذا وهم لا يُظهرون استعدادهم للتضحية.. فكم مرةٍ يجب أن نلدغَ حتى نسُدَّ الجُحرَ!

وهذا للتذكير بأن يطرِدوا كلامهم في ديار الإسلام كلها المَصلية بنير الطواغيت والزنادقة الباطنيين وأهل الصليب وعُبَّاد البقر.

ومن صور ذلك، ما رأيناه منهم في حادث مقتل اليهوديَين في الاسكندرية، وما قام من مناوشات بينهم، وظهر من كثيرٍ منهم تثبيتٌ لشرعية الطواغيت، فكأنك يا «طوفان» ما جِيت!

وما حصل بينهم، يدلُّ على أنهم لم يروا لهذه المسائل وزنًا من قبل، ولم ينظروا فيها، بل هم يواروها ويتوارون عنها، ويشنِّعون على مَن قام ويقوم بمقتضياتها، حتى إذا كانَ ضغط العامة خاضوا بها، واستدعوا غيرها كفقه المعاملة بالمثل الذي كان في التجريد مذ عرفناهم، ثم صاروا يزاودون على بعضهم، ثم كان

ماذا؟ لا أحدَ دعا القادرين لمثلها، بل لا أحد قامَ فحرَّض على الإعداد، وأحسنُهم مَن قال: حدِّثوا أنفسَكم[1].

أما أن يُنصفوا طوائف الجهاد، فذاك لا يُنتظر منهم، بل لو كفُّوا بغيَهم، فكثَّر خيرهم. ولم يصبر أحدهم على حقدٍ ملأ جَنبَيه حتى خرج يبثُّه، وهذا خير، كي لا يخرج مَن يقول إنَّا نسيء الظنَّ بهم، وهم أهلٌ لذلك على كل حال.

فهؤلاء وغيرُهم، لم يزيدوا على أن أعادوا مقولات الُمجاهدين الذين ظلموهم وافتروا عليهم، وصارت آيات الجهاد تُرتَّل، وأحاديث الشهادة تُزيَّن بها حساباتهم، واستدعوا أقوال الفقهاء في الجهاد والسبي، بعد أن استهزؤوا بكل مَن ساقَ الآيات والأحاديث وأقوال الفقهاء في كل جهاد خاضه المسلمون.

فلنَدعهم، فسينتهون من حيث بدأ الُمجاهدون[2].

---

[1] ولئن صار رؤوس التخذيل يُحدِّثوننا عن ضعف إيمان مَن ينظر في كَمِّ العتاد، فإنها نهاية التاريخ لا شك!

والطريف أنّ هذا –عندهم– كله محدودٌ بالحدود القومية؛ فالمطرُ آيةٌ في غزة وموسمٌ معلوم في الشام، والملائكة تقاتل في غلاف غزة ولا تدخلُ فيافي مالي، والإثخان بالعدو وجزُّ رؤوس جُنده يجوز هناك دون صحراء الأنبار، وسَبيُ النساء جائزٌ بل يُتندَّر به في نساء يهود، ومحرمٌ شنيعٌ في نينوى، ومواجهة أمريكا استراتيجية ومطلب شرعي استوفى شروطه اليوم وتذعيرٌ وضلال مبين بالأمس.

[2] قال الشيخ يوسف العييري في «دفاعًا عن الُمجاهدين: رسالة مفتوحة إلى فضيلة الشيخ سَفَر الحوالي»: «إنّ كتب جماعات الجهاد وأشرطتهم تدل دلالة واضحة على منهج المجاهدين وطريقتهم وفِكرهم التي توافق منهج أهل السنة والجماعة في المعتقد والفقه، بل إني لا أعلم مسألة من المسائل

فكل ما يقولونه الآن من عداوة الصليبيين والمرتدين والقيام بمقتضاها، وعدم التوكل الكلي على الأسباب، وتسويغ الذبح، وقتال النظام العالَمي وأنه كتلةٌ واحدةٌ، وضرب أمريكا، وضلال التعويل على الغرب ومؤسساته، وفساد الاحتجاج بصلح الحديبية في كل مواجهة، والتكفير بالموالاة، ومحاربة يهود ومواليهم تحت كل سماء، والتضحية والفداء «كان من أسباب منع المشايخ للشباب من الإقدام على سبل الجهاد، وكان يُعدُّ إذهابًا للنفس وتحقيقًا لمفسدة هلاكها. أمرٌ صَرِحَت به طوائف الجهاد، وسُبَّت واتُّهمت بهزائم، **ثم صاروا إلى**

التي نزلت على الأمة في باب الجهاد إلا وقد أفردَ لها أحد من المجاهدين أو جماعات الجهاد بحثًا مستقلًّا، كمسألة العمليات الاستشهادية ومسألة قتال الطائفة الممتنعة بشوكة وخطف السائحين أو قتلهم، وغير ذلك من المسائل» (ص ١٣).

فانظر في مسألة العهد والأمان وما يتفرَّع عنها كقتل السياح: «دفع الرَّيْن عن آسِرِي عصابة الكوريين» للشيخ أبي يحيى الليبي، و«انتقاض الاعتراض على تفجيرات الرياض» لعبد العزيز الطويلعي، و«التبرئة: رسالة في تبرئة أمة القلم والسيف من منقصة تهمة الخور والضعف» لأيمن الظواهري، والدرس الثالث من «دروس في التوحيد والقتال» للنظاري، و«القول الصراح في حكم استهداف السياح» لإبراهيم الربيش. وفي قتل الأسرى انظر: «هداية الحيارى في جواز قتل الأسارى» ليوسف العييري، تقبلهم الله جميعًا.

والكارثة أنهم لم يكتفوا بذلك، بل أعادوا في «فورة حماسهم» توليد حتى المقولة الشاذة: «لا يُفتي قاعدٌ لمجاهد»، والتي لم يقُل بها أحد من طوائف الجهاد، إلا شذاذًا رُدَّ عليهم، وكان قادة الجهاد يرجعون دائمًا للعلماء ويراسلونهم ويحرصون على ذلك أشدَّ الحرص، وكم سعى الشيخ عطية الله في ذلك، دون أن يمنعه «قعود» العالِم الفلاني عن ذلك، لكن على شرط ألا يكون داخلًا في دين الملك مثبِّتًا لطغيانه مشرِّعًا لظلمه وفجوره.

مسالكهم وسبلهم، ولذلك يقالُ هذا الكلام اليوم حتى يُنسبَ الفضل لأهله أولًا، ثم من أجل بيان فساد أحكام القوم، **وأنَّ الأدلة الشرعية هي آخر ما يُحتجُّ بها عندهم، بل هم أُسراء الظفر والغلبة والقوة، فالحق لا يُتَّبعُ عندهم إلا مع الغنىٰ والسلامة والظفر، وليس في وقت البلاء والمقدمات»**[1].

وبعيدًا عن تثبيطهم الكامن لمن عرفهم، وتتبَّع كلامهم، فإنّ للمجاهدين دعوة قديمة باستهداف اليهود والصليبيين في بلاد المسلمين، وهي آكد اليوم، والفتاوى فيها ظاهرة فيما ذُكر من عناوين وفي غيرها من كتب المجاهدين، بل أفتى بذلك اليوم مَن كانوا ينكرون ذلك أشد النكير ويمنعونه مطلقًا. فمَن ثبتَ له عقد الأمان من مسلم، فذاك، ومَن كان «أمانه» تأشيرة الطواغيت؛ دونكَ فانحَر!

فعلى المسلم القادر أن يسعى بكل جهده بنفسِه أو بجمعٍ من إخوانه أن يُقدِموا على قتل مَن يستطيعون من المحاربين، خاصةً منهم مَن تعظُم المصلحة في قتله؛ سياسيًا كان أو عسكريًّا، صليبيًّا أو يهوديًّا أو مرتدًّا، ولا يرتاب ولا يتلجلَج فإنما هم المشركون ودم أحدهم دم كلب. ولا يقتصر على قتل الأعيان، بل مَن استطاع ضرب كيانات اعتبارية للعدو، في دياره أو ديارنا، وتعطيل سير حياته، وإرهابه، وتشتيت شمله، فليُقدِم متوكلًا مخلصًا!

---

[1] أبو قَتادة الفلسطيني، المقاربة لنازلة العصر (ص ٢٨).

وليس القتل الفردي أو الهجوم الجماعي وسيلةً وحيدة، بل هناك المتفجرات والعبوات وحتى المفخخات إن تيسَّرت. وفي ذلك كله مواد مبثوثة للإخوة على الشابكة، يجد الأخ المجاهد فيها ما يُقرُّ عينه، وأعين المؤمنين إن نفَّذ.

ومن البلاد التي يترجح العمل بها (من غير الغرب، ففيه العمل مطلوب راجح ما دامت الحرب قائمة)، هي ما يلي فلسطين كالأردن ومصر، فالردة فيها جامحة، والمصلحة فيها ظاهرة، فكِلا حكامهما أكثر مَن آذى المسلمين في غزة اليوم، وأعانوا على حصارهم.

وكذلك لبنان، وخاصةً مَن يُعلم تأييده لدولة يهود كبعض الدروز وجماعاتهم، ويمكن توريط الرافضة بالمعركة بالضرب من مناطقهم وإن كان هذا صعبًا جدًّا وأكثر صعوبةً هذه الأيام. ثم بلدان الجزيرة: نجد والحجاز، ففيها مصالح كثيرة للعدو، ودبي وأبو ظبي ففيها الكثير من أعيانهم، وتجمعاتهم السكنية معروفة، وقواعد الصليب في أرجاء الجزيرة ومصالحهم معلومة، ثم بلاد المغرب الإسلامي وقصد اليهود فيها خاصة.

ولا أقلَّ من بث الرعب بنشر لتهديدات عامة وخاصة وإن لم يتيسَّر العمل. يقول سنافي النصر: «وما أكثر الأهداف في البلدان الإسلامية وغيرها، فالكثير منا يستطيع الوصول لعُبَّاد الصليب بسهولةٍ ويُسرٍ، فاستعن بالله وادرس العملية ثم اسحب سلاحك وأرِح المسلمين من شرِّهم، **ولتكن حجرَ الأساس في**

أرضك، وستجد إخوانكَ من بعدك قد أخذتهم الجرأة، وكُلٌّ قد ضرب الأقرب من العدو بإذن الله، وقد حرَّضَنا فقيدُ الأمة الشيخ أسامة بن لادن ﵀ على مثل هذه المشاريع في أكثر من خطابٍ، بل حددَ الأهداف.

وإن لم تتهيأ لك الفرصة؛ **فأقلُّها التهديد**، وأذكر ما قام به شاب أفغاني بلغ العشرين لتوِّه، فبعد أن علم باجتماع وجهاء القبائل في شرق أفغانستان لوضع مشروع مشابه لمشروع الصحوات في العراق، قام أخونا باجتهاد فردي، وكتب رسائل لجميع وجهاء القبائل وأعيانهم أنه إذا لم تتراجعوا عن هذا المشروع فمصيركم القتل وأوصلها لبيوتهم، وبالفعل تمَّ إيقاف المشروع، ولله الحمد، **وكل ذلك نتيجة اجتهاد فردي موفَّق**»[1].

---

[1] ما قبل النفير (ص ٣-٤) بتصرف. وانظر إصدار «السحاب»: «لا تُكلَّف إلا نفسَك»، ففيه تعليمات وإرشادات مهمة.

ومن المهم أن يُعدَّ الأخ لِما بعد العملية كذلك، فيدرس خيارات التخفي والتحرك فيما بعد نجاح العملية إن شاء الله. وإن كانت الشهادة فنِعمَ الخاتمة، وإن كانت الأخرى فلا يجزَع وليصبر وليحتسب، ويُعدَّ نفسه على عدم الاستئسار، بل على القتال إن تيسَّرت الأسلحة المناسبة لذلك، فإن كان يحمل أسرارًا للإخوة «فلا يجوزُ له تسليم نفسه لكافرٍ إلا حين: **يعجز عن الفرار، ويأمنُ الفتنة عن دينه، ولا يخشى إفشاء أسرارٍ تضرُّ المجاهدين، ويستوثقُ بأمانٍ لنفسه أو يأمنهم في غالب ظنِّه**». انظر: «أيها المجاهد: المَنِية ولا الدَّنِية» ضمن «مجموع أعمال عبد العزيز الطويلعي» (ص ١٦٢-١٨٨).

ولا ينبغي نسيان ديار الأعاجم المسلمين من تركيا وباكستان وبلاد شرق آسيا من التحريض وإذكاء الولاء معهم وبهم، فحتى لو لم يكن ثمة فرصة لعمل هناك، فما ينبغي تجاهلُ ثقلهم وعددهم. وتحريض المسلمين في الغرب على العمل وأن يرتقوا من المظاهرات التي لا طائل تحتها إلى العمل

وكان من أثر ظلم المَذكورين، وعجمة ألسنتهم عن ثغور المسلمين الأخرى، أنّ العامة لم تعرف الولاء إلا في فلسطين، والبراء إلا من «الصهاينة»، فهانت عليهم مصائب المسلمين ومعاناتهم، بل حتى الخاصة لا يأبهون لجهاد المسلمين في الصومال واليمن والجزائر ومالي، واضطربت موازين الشريعة عندهم، فصارَ الولاء بحسب القرب من «القضية الفلسطينية» بمفهومها القومي المحدود، لا بمفهومها الإسلامي الأممي، وهذا فيه إضعاف للقضية لو كانوا يعقلون.

فليس شفاء الصدور محصورًا في غزة، وليس الجهاد في فلسطين فقط، بل هذه سورية الشام فيها جهادُ مَن هم شرٌّ من اليهود والنصارى، فضلًا عن مظاهرتهم إياهم، ومن المصلحة العسكرية أن يُحرض هؤلاء المحرِّضون (في حدود فلسطين فقط) على جهاد الشام وأن يعتنوا به، ويوجهوا المسلمين له، هذا دون ذكر معاناة أهل سورية الشام وغيرها من ثغور المسلمين الذين ما ذكرهم أحد، وليس بسبب فلسطين فقط، بل هي حالة عامة عند هؤلاء المتصدرين لشؤون «الأمة».

ولا أدري لِمَ يُصرُّون على تكرار مأساة تركستان الشرقية وكشمير اللتين بُحَّ أصوات أهلها وهم يشبِّهون قضيتهم بقضية فلسطين، علَّ القلوب التي لا تنبض إلا على «القضية» ترثي للمسلمين الذين رأوا ما لم يرَه الفلسطينيون

المنظم الذي يبغَت العدو ويُرهبه، واليهود وأماكنهم كثيرة معروفة في بلاد الغرب، فضلًا عن أعيان الصليبيين ومؤسساتهم.

أبدًا. وليس هذا تقليلًا من فضيلة فلسطين الشرعية لوجود بيت المقدس، وإنما تنبيهٌ إلى أنّ الولاء للمؤمنين لا يتجزَّأ.

فالولاء للمؤمنين في كل مكان، وعلى المسلمين أن ينصروهم بما يستطيعون، ولا تقتصر النصرة على بقعة دون غيرها، فكم خسرت ثغورٌ وظُلمت لـمّا اقتصر التعاطف والنصر على سورية الشام، والمتأمُّل في التاريخ القريب يرى أثر ذلك.

ولا ينبغي كذلك أن يكون الخاصة خاضعين للعواطف تحركهم كيفما يشاء الهوى (ورضا الطواغيت)، وما أحسنَ تصوير الشيخ أبي يحيى لحالِهم، وهو تصويرٌ يُجمل كثيرًا من المُراد من هذه المقالة، يقول ﵀: «ثم إنّ الكثيرين ممن يتحدثون عن الاقتصار على قتال «العدو الخارجي» ولم يُكتب لهم شرف ممارسة الجهاد في ساحاته، ومعاينة ومعاناة همومه وجراحاته، ويتعاملون معه بنظرة إجمالية عمومية عن بُعدٍ دون الدخول إلى تفاصيل أعماله، يحسبون أنَّ الانتصار على تلك القوة الخارجية المداهِمة ودحرِها إنما يقع بضربة لازبٍ، **ويُغريهم في ذلك مجرد تعاطف الناس الكبير عند أول شرارة الاحتلال** حتى إذا طال عليهم الأمد واسترسل الاحتلال وامتد، وتمكَّنت دولته، وتضعضعَت مسيرة الجهاد بين الانتصار والانكسار، والارتفاع والانخفاض، وخالَجتها المؤامرات والدسائس وإطلال رؤوس النفاق، رأيت وميضَ الحماسة بدأ يخفت،

وهيجان التأييد يضعف؛ **فيكون المرء متعاملًا مع قضايا المسلمين لا من منطلق الفهم الشرعي الراسخ والقيام بواجباته المضبوطة وإنما بالحماسة والعاطفة**، ومثل هذا التعامل يُستفاد منه شيء ما، ولكن **لا يمكن الاعتماد عليه ولا الوثوق به في إدارة عجلة الجهاد ولا في تقويم أوضاعه ومعرفة مآلاته**؛ لأنّ أمر العواطف لا يُضبط، ولو وُكِلَ أمر الشرع إليها لَمَا قامت له قائمة ولا بقيت معه باقية، فالمطلوب من المرء المسلم أن يكون فعَّالًا لا منفعلًا فحسب، ومؤثِّرًا لا متأثرًا فقط. والشواهد على هذا الأمر من واقع ساحات الجهاد المعاصرة كثيرة، كالحالة في فلسطين أو الشيشان أو المرحلة الأخيرة من العراق، وهكذا.

ولهذا فقد تجد بعض مَن كانوا متحمسين للجهاد ومنفعلين مع قضيةٍ من قضاياه في مرحلةٍ من المراحل غاية الانفعال قد يصلون في مسألة «قتال العدو الخارجي» إلى نفس ما استقر في نفوسهم وترسَّخ في صدورهم من عدم جدوى قتال «العدو الداخلي» لأنه يرى أنَّ الأبواب موصدةٌ، وأنَّ ملامح النصر لا يظهر لها بصيص أمل، وأنَّ جهود سنوات من القتال المُحتدم والتضحيات الكبيرة لم تُجنَ ثمارها بعد، وأنَّ المرحلة الذهبية من التفاعل الشعبي والتوجه الإعلامي المركَّز قد أعقبها فتورٌ وخمولٌ فيرجع القهقرى ليبحث بعدها عن

بدائل «سلمية» لإخراج المُحتل كما تحصَّل على وسائل «سلمية» وشرعية أيضًا في معارضة أنظمة الحكم!

وبهذا يوصد باب الجهاد العملي كليةً أو يُحجَّم ويُقلَّص إلى أقصى حدٍّ لينحصر فقط في جهاد اليهود في فلسطين مع وضع عراقيل وإحاطته بمفاهيم لا يمكن معها تطبيقها إلى يوم التناد، وقد قال تعالى في آياتٍ بيناتٍ باقياتٍ لمن يطلب الدواء الشافي من غير تعنتٍ ولا مواربة: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝١٣٧ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝١٣٨ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ۝١٤١ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل عمران: ١٣٧-١٤٢]»[1].

وقد سبقَ أن رأينا عمائمَ خذلت المجاهدين في أفغانستان، بل عادَتْهم بكل طريقة، وقعدَت لهم في كل صراط تُوعدُ وتصدُّ عن سبيل الله، ثم لـمّا دالت الدولة للمجاهدين هناك كانوا أول مَن قفز ليغنمَ، وحتى «قفزُه» ذاك كان

---

[1] الجهاد ومعركة الشبهات (ص ٣٦-٣٧).

بأوامر «الكفيل» وإن تزيَّت بزي الهيئة المَشيخية والاتحاد العُلمائي، وما أعانَ حينئذٍ الجهاد ونفر إليه إلا مَن وسِموا بكل نقيصة، فصاروا اليوم أشد غربة وقد جاء أهل الجاه والمال وقد انطلق المؤمنون ليأخذوها، وما ضرَّ أهل الجهاد ذاك، فهم ما هاجروا إلا في سبيل الله، لكن أن يُصوَّروا بألسنة «الباحثين عن الغنائم» بأنهم ضرر يجب التخلص منه، فتلك خسةٌ ما عهدتها الجاهلية الأولى.

فهذه هي أنماط هؤلاء المناصرين الطارئين: تشغلهم أموالهم وأولادهم ثم إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها قالوا: ذرونا نتبعكم، قل: لن تتبعونا!

فصل

الله مولانا

تحزَّبت الأحزاب على غزة المَنكوبة، لتكون حجةً فوق حجج أخرى كثيرة على مَن ما زال يؤمِّل في أعداء الله والرسول والمؤمنين نصرًا وعونًا. فقد استدارَ الزمان كهيئته يوم «الحادي عشر»؛ فأعلنَ الكفرة صيالَهم على المسلمين دون اكتراثٍ بعبيدهم المنافقين في صفوفنا، وأسفرَت الردة مرةً أخرى عن قبيح صورتها، وتجمَّع الأحزاب وتألَّبوا، ورُفع الصليب والشمعدان ومن ورائهم جحافل الكفر والردة، وأجلبوا بخيلهم ورَجِلِهم على أهل الإيمان.. فعذيرَك من محارب؟

وهذه الصورة المتكررة مع أهل الحق، أي صورة تجمُّع الأحزاب وتكالبهم على الهدى وأهله، تقتضي أن نرجعَ إلى مشاهد ذلك الجَمع في القرآن، إذ قَصصه جاءت ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ عند النوازل دقها وجلها، ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ لتسمو على ثقلة الطين والدم، ويشتدَّ العزم بالارتباط بهذا السند العريق من طوائف المؤمنين الثابتة القائمة بأمر الله.

وفي صور الجَمع المُحتشد على أهل الهدى سياقَان فيهما من التسلي والمبشرات الشيء العظيم:

فقد جاءَ الأحزاب من فوق المؤمنين ومن أسفلَ منهم، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وظنَّ أهلُ الحق بالله الظنونا، وابتُلوا وزلزلوا، ومن ورائهم المنافقون لا يألونهم خبالًا، مرجفون كرهَ الله انبعاثهم فثبَّطهم، كما هو الحال اليوم، بل كما هو الحال منذ «الحادي عشر»، فيقول الله ﷻ بعد ذكر قصة الأحزاب: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

فما يحصلُ لإخوان النبي ﷺ[1]، سُنة من سنن الله في تمحيص الصفوف وتمايزها فالوراثة والتمكين بعون الله، وفي كل الأحوال –بلاءً وتمايزًا وتمكينًا– لنا

---

[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ أتى المَقْبُرَةَ، فقالَ: «**السَّلامُ علَيْكُم دارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وإنَّا إنْ شاءَ اللَّهُ بكُمْ لاحِقُونَ، ودِدْتُ أنَّا قدْ رَأَيْنا إخْوانَنا**». قالوا: أوَلَسْنا إخْوانَكَ يا رَسولَ اللهِ؟، قالَ: «**أنتُمْ أصْحابِي وإخْوانُنا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**». مسلم (٢٤٩).

في رسول الله أسوة حسنة، نصبر كما صبر ﷺ، ونثبتُ متوكِّلين كما كان منه ﷺ، ونقاتل كما قاتلَ ﷺ، ونسأله سبحانه أن يكتب لأهل الإسلام التمكين كما مكَّن للذين من قبلنا. يقول شيخ الإسلام: «فأخبر سبحانه أنّ الذين يُبتلون بالعدو كما ابتُليَ رسول الله ﷺ، **فلهم فيه أسوةٌ حسنةٌ حيث أصابهم مثل ما أصابه، فليتأسُّوا به في التوكل والصبر**، ولا يظنون أنّ هذه نِقمٌ لصاحبها وإهانةٌ له، فإنه لو كان كذلك ما ابتليَ بها رسول الله ﷺ خيرُ الخلائق؛ بل بها يُنال الدرجات العالية وبها يُكفِّر الله الخطايا لِمَن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكرَ الله كثيرًا. وإلا فقد يُبتلى بذلك مَن ليس كذلك فيكون في حقه عذابًا، كالكفار والمنافقين»[1].

وفي سورة «القمر» بعد أن قصَّ الله قَصص السابقين، وطغيانَ أقوام الرسل، ومحادَّتهم الرسل، بشَّر نبيه وحذَّر طواغيت الجاهلية، فقال ذو القوة المتين: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر: ٤٥].

«فلا يعصمهم تجمعهم، ولا تنصرهم قوتهم. والذي يُعلنها عليهم هو القهار الجبار، **ولقد كان ذلك، كما لا بُدَّ أن يكون**»[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٥٩-٤٦٠).

(٢) في ظلال القرآن (ص ٣٤٣٥).

مهما علت الجاهلية، ومهما خوَّف الشيطان بأوليائه، ومهما وعدَ شياطين الإنس بعضهم بعضًا زخرفًا وغرورًا، مهما جمَّعوا من أمرِهم: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر: ٤٥].

لو مالَت الدنيا على أهل الإيمان، فقدرُ الله نافذ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر: ٤٥].

«عباد الله، أمامنا ثلاثُ طوائف:

طائفة **المجاهدين** ومَن ناصرهم، وطائفة **القاعدين** عن نصرة فلسطين بالجهاد في سبيل الله من غير عذر، وطائفة **التحالف الصليبي الصهيوني** ومَن ناصرهم وفي مقدمتهم حكام المنطقة **وعلماء السوء**.

فالسعيدُ مَن كان من الطائفة الأولى، أرجو الله أن يجعلنا وإياكم من السعداء.

والمَحرومُ مَن كان من الطائفة الثانية القاعدة عن نصرة الدين.

والشقيُّ مَن كان من الطائفة الأخيرة، أعاذنا الله وإياكم منها»[1].

---

(١) أسامة بن لادن، السبيل لخلاص فلسطين (شريط صوتي).

فصل

لعنةُ عَقلَنةِ الحرب

ينقلُ زيغمونت باومان في «الحداثة والهولوكوست» أنّ النازيين كانوا مذعورين من اليهود، رغم أنهم يسوقونهم سوقًا إلى حتفهم.

فقد كان اليهود -على كثرتهم- يذهبون بكل طاعة ورضا إلى «غرف الغاز»، بعدما قيل لهم إنهم ذاهبون إلى التنظُّف -وكانوا بحاجة مسيسة له-، ويحتملون ما هم فيه عندما يعطونهم معاطف يتدثَّرون بها عند البرد.

وهكذا كان النازيون «يُعَقلنون» المأساة، ويخلقون عالَمًا يقوم على حساب المكاسب -التافهة- والخسائر، وعلى طريقة المكافأة والعقوبة.

هذا العدو، وكل عدو من هؤلاء المتوحشين المتألِّبين، لا ينفعُ معه حساب عقلاني، ولا يُتعامَل معه بالمنطق، بل هذا ما يريده، ويحاول فرضه بالقصف الشديد، حتى يجبر المجاهدين على النزول إلى الحساب العقلاني للواقع الدنيوي للموت والتدمير.

يقول مسؤول أمني جنوب إفريقي: «إنّ الخطرَ الحقيقيَّ الذي يُمثّله «حزب المؤتمر الوطني الإفريقي» لا يكمنُ في الأعمال التخريبية الإرهابية مهما كان

حجمها أو تكلفتها، بل في تشجيع السكان السود أو الأغلبية العظمى منهم **على عدم احترام القانون والنظام**».

ومثّل باومان على ذلك بـ«الانتفاضة الأولى»، إذ احتفظ الترهيب بأثره وفاعليته.

ويقول: «فأكثرُ الحكام قسوَةً وتدميريةً ودمويةً لا بُدَّ من أنْ يظلَّ واعظًا ومدافعًا مخلصًا عن «العقلانية»، أو يموت.

وعندما يوجِّهُ هذا الحاكم حديثَه للرعية، يجب أنْ «يخاطبَ العقلَ»، ويمتدح فضائل حساب التكاليف والنتائج، ويدافع عن المنطق ضد العواطف والقيم التي تخالف العقلَ والمنطق ولا تحسب التكاليف»[1].

وما كذبهم عن ذبح الأطفال واغتصاب النساء، إلا محاولة لجرِّ المجاهدين إلى التخفيف من لهجتهم، و«سَوقِهم» إلى حساب التكاليف، وظهرَ أثرُ ذلك في التراجع السريع عن ذبح الأسرى، وكذلك في تصريحهم الأخير اليوم (الخميس، ٢٧ ربيع الأول ١٤٤٥هـ): «كل الدلائل تؤكد احترام «كتائب القسّام» والمقاومة الفلسطينية **قوانينَ الحرب** والقانون الإنساني، وحرصها على تجنب

(١) الحداثة والهولوكوست (ص ٣٣٤-٣٣٧).

استهداف **المدنيين** والأطفال والنساء»[١]، «وكل محاولةٍ لمراعاة أقوالهم [الكفرة المجتمعين اليوم] ومواقفهم خطأ جسيمٌ يؤدي للهلكة»[٢].

وأثناء هروبهم من صفة «الجهادية/الإرهابية»، سيتنازلون «عقلانيًّا» عن كثير من أدوات القوة التي بين أيديهم وقد يرجعُ على التسليم والتوكل بالتوهين، ويحاول العدو سحبَهم إلى إخضاعهم لاستراتيجية «إنقاذ ما يمكن إنقاذه» التي تُصوَّر بأنها استراتيجية عقلانية تحفظُ حياةَ الناس، لكنها حقيقةً «كانت ملحقًا أو امتدادًا لاستراتيجية التدمير التي كانت قوات الإبادة تخطط لها وتُشرف عليها. أمَّا مَن اعتنقوا استراتيجية «إنقاذ ما يمكن إنقاذه» فقد كان مصيرهم أن يكونوا ضحايا أمرًا مقضيًا من البداية، ومَن حددوا الضحايا **اختلقوا مواقف يمكن فيها إنقاذ أي شيء من أجل البقاء**، وهكذا انشغل الضحايا بحساب «تكاليف البقاء» و«تقليل الضرر» و«اجتناب الخسارة». **في هذا الموقف تصبح عقلانية الضحايا سلاحَ قاتليهِم**»[٣]. ولو أنَّ «الحساب العقلاني» كان حاضرًا في الأذهان لَمَا هاجَ «طوفان الأقصى»!

---

[١] تصريح صحفي حول تراجع صحف عالَمية عن مزاعم قتل المقاومة لأطفال، نُشر على موقع «حماس» الرسمي.

[٢] من تدوينات الشيخ أبي قَتادة الفلسطيني في قناته.

[٣] الحداثة والهولوكوست (ص ٢٥٥-٢٥٦).

ويخشى الإخوة أن يكون الامتناع عن الضرب والإثخان في عقر الأراضي المُحتلة حتى اللحظة مردُّه مراعاةُ أقوال الكفرة وأفعالهم، وهذه العقلانية القاتلة!

وحساب المصالح عند المسلمين والعقلانية، لا يستبعدُ الجانب الأُخروي، فالعقلانية يوم «الأخدود» كانت أن يُقبِلَ المؤمنون على الموت، ويوم «مؤتة» أن ينحاز خالد ﷺ بالجيش. إذن مضاد مَكر العدو هذا: تجريدُ التسليم والتوكل، والصدق في تحقيق مراد الله ﷻ.

ولكن يعودُ هذا القرار لأهل الميدان المجاهدين الذين خَبِروا الحرب، وسبروا نفسية العدو بكل جولة، لا بيد السياسيين «العقلانيين»، خاصةً مع قرائن كثيرة تقطعُ بأنَّ السياسيين المتصدِّرين في فلسطين خضعوا وأخضعوا الجهادَ سابقًا لقواعد الكفرة، «وأحكام الجهاد كلها متعلقة بعلم الواقع، فالجهاد فقهه ينبني على واقعه بقدر أكبر بكثير من بقية مسائل الفقه»[١].

فصل

الثابتون على العهد

هذه الأيام المباركة أيامُ المجاهدين وأنصارهم، أصحاب قصب السبق، الذين تلهَّفت قلوبهم لإخوانهم في غزة هاشم، فأبعدوا الخلاف إذ جدد الصائل

(١) يوسف العييري، هل انتحرت حواء أَم استُشهدت (ص ٣).

عدوانه، وشمَّروا إذ شمرت الحرب عن ساقها، ناظرين بعين الوحي ومقتضى الشريعة وعدل أهل السنة، فلم يخذلوا ولم يُخذِّلوا، فمَن كان منهم في ساح الحرب لم يتردد، ومَن حبسه العذر لم يألُ جهدًا أن يقومَ بما افترض الله عليه، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [الحجرات: ٣].

فأنتم أهل الولاء والبراء وقد ذُقتُم مرارةَ الخذلان يوم تكالبت الدنيا عليكم، وأنتم أهل الصدق وقد عانيتم من كَذب الخصوم عليكم.

أنتم أحقُّ الناس بنصرة إخوانكم اليوم، وإعانتهم، ونصحهم، وعدم إسلامِهم للرافضة واليهود والنظام العالَمي ومَكرِه ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت: ٣٥].

فكذَّبتُم تخرّصَ المُفترَين، ولم تنشغلوا بهم ولم تُضيعوا الأوقات معهم، فأنتم أدرى بأولويات المعركة وأخبرُ بها.

فشكر الله لكم أن أريتُم الله منكم ما يرضاه، فيما نحسب.

فلئن تعسَّرَ العون المباشر، فأنتم أَولى الناس بنصرتهم بردِّ الشبه عنهم، فقد عالجتموها دهرًا، وتحريض المؤمنين وأنتم فرسانه، وتراثكم الذي راكمته الخبرات والحوادث أجدرُ تراث بمعركة اليوم، فاستخرجوا كنوزه من تأصيلٍ علمي، وتصنيع وتشريك عسكري.

سيصيح الشيطان بين ظهرانيكم كما صاح يوم «أحد»، مُخذِّلًا مُريدًا الفتنة، فلا يردَّنَّكم عن دينكم وقد عرفتموه، ولا يمنعنَّكم من نصرة إخوانكم بما يتيسَّر لكم وما أحوجَهم!

وأروهم أنْ لا حاجةَ لهم بالشيعة الرافضة وغيرهم، وثبِّتوهُم فقد بدأ الخبثُ الإعلامي يذرُّ بقَرنه ليكسرَ سَوْرةَ بأسِهم بأساليبه التي علمتم وذقتم.